مجلة البحوث والدراسات

العدد (20) ـ السنة (12) شعبان 1436 هـ ـ يونيو (جوان) 2015 م

محور بحوث العلوم الإنسانية

صفحة بيضاء

المنهج الإصلاحي
عند الشيخ محمد السعيد الزاهري الجزائري
(1900ـ 1956م)

بقلم
أ/ أحمد بالعجال (*)

ملخص

يتناول هذا المقال المنهج الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزّاهري (1900-1956م)، حيث يعد هذا الأخير شخصية فذّة في مجال الإصلاح الديني في الجزائر، إذ ينتمي هذا الأخير إلى الرعيل الأول المؤسس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. اعتلى أكثر من مرة مجلسها الإداري، وكان من محرري صحفها الأولى "السنة، الصراط، الشريعة" وصحف أخرى ذات توجه إصلاحي في الجزائر وفي الخارج. ومن خلال كتاباته في هذه الصحف حاولنا التعرف على المنظومة الإصلاحية عنده، وقد اختصرنا الموضوع في جانبه الديني، مركزين على منهجه الإصلاحي الذي ربطه بالفكرة السلفية الداعية إلى العودة إلى الإسلام الأول. وقد تناول مترجمنا في كتاباته علاقة الإصلاح في الجزائر بالفكرة السلفية المتمثلة في الوهابية، كما قدمت هذه الكتابات عديد المحددات المرتبطة بهذا الفكر.

الكلمات المفتاحية: محمد السعيد الزاهري- الإصلاح- الصحافة- جمعية العلماء.

تمهيد

مقابل الإستراتيجية الاستعمارية، التي حاولت طمس الهوية القومية للجزائريين، رأت النخب الجزائرية الفاعلة أن تستجيب للتحديات التي استهدفت المس بهذه الهوية، وعملت على الحط من قيمة تاريخ البلاد ولغة أهلها ودينهم واستقلالها، اتسم هذا

(*) أستاذ مساعد "أ" بقسم العلوم الإنسانية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة الوادي.

الفعل الاستعماري تارة بالعنف وطورا باستعمال القوانين لأجل إضفاء الشرعية على فعل غير مشروع، قابله الجزائريون بفعل آخر يحاول أن يحفظ للجزائري هويته ويعيد له استقلاله، من هذا المنطلق الذي حدد نظر النخبة الجزائرية، وحدد طبيعة استجابتها لتحدي الوضع الاستعماري وتجاوزه. رأت هذه النخب كذلك أن تعمل على تأكيد هذه الأسس وذلك بإصلاح عقائد المسلمين بالعودة إلى سير "السلف الصالح"، وهو ما عرف في الكاتبات التاريخية المعاصرة بـ "حركة الإصلاح".

وقد ارتبط الإصلاح بالفترة ما بين الحربين العالميتين في الجزائر، وأطلق على هذه الفترة تسمية: "**النهضة**" أو "**الإصلاح الديني**"، وهو إصلاح يجد مرجعيته في قوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي».[1] فالإصلاح بهذا المعنى لا يزيد عن كونه محاولة تطبيق الإسلام الصحيح، والعودة بالمسلمين إلى منابعه الصافية،[2] أي إلى إسلام الوحي، إسلام الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، وهذا هو مطمح التيار الذي أصطلح عليه بالسلفي.

كما كان للتيار الوهابي دور في ظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية، فقد تعرف بعض الجزائريين إلى الحركة الوهابية عن طريق الصحافة، وزيارات الحج، وكانت الحجاز قبلة أنظار العلماء والمشايخ، ودار هجرة للجزائريين خلال فترة للاحتلال هربا من البطش والظلم، والحجاز إذاك مهد الدعوة الوهابية الرامية إلى إحياء الإسلام وتنقيته من الشوائب، وقد انعكس ذلك أيضا في تفكير رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية، خصوصا أولئك الذين زاروا الحجاز لطلب العلم، من أمثال الطيب العقبي، والشيخ البشير الإبراهيمي،[3] بذلك ارتبطت حركة الإصلاح في الجزائر بدعوة السلفية، أو على الأقل في فصيل هام منها.

لقد انشدت النخبة الجزائرية التقليدية، خصوصا تلك المتخرجة من الجامعات الإسلامية في المغرب والمشرق، كالزيتونة، والقرويين، والأزهر، والحجاز وبلاد الشام... إلى النموذج المشرقي، بالإضافة إلى خصوصية التجربة الجزائرية واتصالها بالفكر والواقع السياسي الأوروبي (الاستعماري) في الجزائر، هذا المزيج، أدى بلا شك إلى ثراء التجربة الإصلاحية الجزائرية، التي كان الشيخ الزّاهري أبرز المساهمين فيها، وهو أحد علماء الإصلاح الجزائريين الذين كانت لهم آراء إصلاحية مميزة خلال النصف

الأول من القرن العشرين. وهذا ما سنتعرف عليه في هذه الورقة.

أولا: التعريف بشخصية محمد السعيد الزّاهري.

ولد محمد السعيد الزّاهري "بليانة" (بولاية بسكرة حاليا)، يوم 1900/12/21. **وهو سليل** أسرة عريقة. انخرطت في سلك الطرقية، إذ كانت ممثلة لإحدى كبريات الطرق في الجزائر، وهي الطريقة القادرية، فأحد أعمام الزّاهري كان مقدما لهذه الطريقة في "ليانة".[4] التي كانت تعج بجو علمي وثقافي معتبر، من خلال مدارسها ومساجدها، كمسجد سيدي الوردي بن سيدي محمود بن سيدي عبد الحفيظ الذي شُيد نهاية القرن التاسع عشر، والذي تخرج فيه الكثير من العلماء والمشايخ، وقد كان لهذا المعهد مكتبة غنية بالكتب والمخطوطات المتنوعة والنادرة.[5] في هذا الجو الثقافي والعلمي الذي ساهمت فيه وتأثرت به الأسرة الزّاهرية، نشأ محمد السعيد وفتح عينيه على حياة مشبعة بروح علمية وثقافية، كانت تفتقدها مناطق كثيرة من الجزائر المستعمرة.

وبعد أن حفظ الزّاهري القرآن الكريم في كتاتيب القرية وأخذ مبادئ العلوم، تاقت نفسه إلى الاستزادة والتوسع في طلب العلم، فلم يكن أمامه – في ذلك الوقت – غير مدرسة ابن باديس في قسنطينة فيمم وجهه نحوها. ولا نعلم بالضبط تاريخ التحاق الزّاهري بالتعليم الباديسي، لكن الذي نعرفه هو أنه قد أقام زهاء أربعة عشر شهرا طالبا بالجامع الأخضر ينهل العلوم ومعارف حلقات الدرس الباديسية، التي يقول عنها: « رأيت فيها منه العلم العريض والاطلاع المحيط واللسان العربي المبين فما شعرت إلا وقد دخلت في دور من القراءة جديدة لا عهد لي به من قبل».[6]

وبعد عودته من قسنطينة انتقل الزّاهري رفقة عمه رشيد (مقدم الطريقة القادرية) إلى وادي سوف، وهنالك اتصل بالشيخ الهاشمي زعيم الطريقة المذكورة، حيث أوكل إليه هذا الأخير مهمة تعليم أبنائه مقابل جراية معينة، ونظرا للعلاقة التي كانت تربطه بشيخ هذه الطريقة، فقد عرض عليه هذا الأخير سنة 1917 أن يرافق أبنائه في رحلة طلب العلم إلى تونس حيث جامع الزيتونة الشهير،[7] فكانت هذه فرصة له لينهل من معين هذا الصرح العلمي الذي كان قبلة لطلاب العلم من الجزائريين وحلم كل راغب.

ومهما يكن، فقد عرفت شخصية الزّاهري في الزيتونة أكثر وأهم انقلاباتها الفكرية

والثقافية، حيث التقى بأبرز الشخصيات الأدبية والفكرية التي كانت تفد إلى هذه القلعة من الأقاصي، كما انضم إلى حلق الدرس التي كانت تلتف حول أمهات الكتب، فكان الجامع بذلك بمثابة التفاتة للتاريخ والتراث العربيين لأقطار ثلاثة تعاني غزو الدخيل الواحد،[8] ومن هنا أخذ مترجمنا منطلقات فكره الإصلاحي والوحدوي. وفي جويلية سنة 1924 خضع محمد السعيد لامتحان نهاية المرحلة التعليمية في جامع الزيتونة لينال بعدها شهادة التطويع في سائر العلوم برتبة متوسطة، وقد تخرج معه في هذه الدفعة أيضا من الجزائريين كل من مبارك الميلي وعبد السلام بن السلطاني القسنطيني.[9]

كانت هذه الرحلة العلمية إلى الخضراء تونس، والتي تراوحت بين حقول العلم والمعرفة، بحق مرحلة شيقة وأساسية في حياة الزّاهري العلمية، فهناك صقل مواهبه واكتسب شخصية ثقافية، فلا غرابة إذن أن نراه بعد تسع سنوات من تخرجه يصرح بأنه مدين لكلية الزيتونة بتونس قائلا: « فقد تخرجت فيها وأحرزت على شهادتها (شهادة التطويع) وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب والإصلاح والدين، هي أيضا مدينة لجامع الزيتونة، فكثير من رجال هذه الحركة قد تخرجوا في الزيتونة وأحرزوا على شهادتها العلمية، ومنزلة جامع الزيتونة في قلوبنا، وقلوب الأمة الجزائرية كلها هي منزلة عالية جدا فكلنا نحبه ونرضاه، ونهفوا إليه ونتمنى له الخير وزيادة العمران ».[10]

أ – الزّاهري والحركة الوطنية.

عاد الزّاهري من تونس إلى أرض الوطن سنة 1925، فاستقر بالجزائر العاصمة، وانضم إلى جماعة الإصلاح، فأخذ مكانه بين أعضائها، ومضى على هدي منهجها، ينهض بأعباء الجهاد على أكثر من صعيد. وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، كان الزّاهري من أبرز أعضائها المؤسسين، فقد عينته ليكون ممثلا عنها في الغرب الجزائري كله، حيث كان ينشر في ربوعها الفكرة الإصلاحية. وفي سنة 1933 عهدت إليه الجمعية بتحرير جرائدها: السنة والصراط والشريعة على التوالي.[11]

وبعد أربعة سنوات من العمل الدءوب في إطار هذه الجمعية آثر سنة 1936 أن ينفصل عنها تدريجيا،[12] مفضلا التركيز على النشاط السياسي ضمن هيئات أخرى. مثل الجبهة الشعبية (1936– 1938). وبعد الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد سنة 1946،

انضم الزّاهري إلى الجهاز الدعائي لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (MTLD)، كمحرر لجريدة **المغرب العربي**.[13] وقد استمر الزّاهري يناصر هذا الحزب ويدافع عن مبادئه حتى قيام الثورة التحريرية،[14] فحينها كان ينشر المقالات في مصالي وحركته التي أنشأها بعد انقسام حزبه سنة (1953) باسم "الحركة الوطنية الجزائرية" المصالية (MNA).[15] التي كانت تنشط أثناء الثورة، وهذا الأمر أثار حفيظة قادة الثورة ضده فأمروا بتصفيته في 1956/05/19 بأحد شوارع العاصمة.

ب- الأعمال والأنشطة التي مارسها الزّاهري.

في المجال الصحفي: عندما تخرج من الزيتونة سنة 1924 عاد إلى الجزائر وواصل نشاطه في الصحف العربية والجزائرية، كما شرع في تأسيس عدة صحف أهمها:**صحيفة الجزائر** (1925) جريدة سياسية تناصر الاتجاه الوطني الإصلاحي الذي يتزعمه الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر.[16] و**صحيفة البرق (1927).** ذات الاتجاه الإصلاحي الديني.[17] وصحف: **السنة النبوية**،[18] و**الشريعة المحمدية**،[19] و**الصراط السوي**[20] (1933) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،كان يديرها الشيخ ابن باديس، ويرأس تحريرها الزّاهري بمعية الشيخ الطيب العقبي. وفي نفس الوقت كان مساهما في تحرير صحيفة **الجحيم** (1933).[21] وجريدة **الوفاق**(1938)،[22] وجريدة **المغرب العربي** (1947) الناطقة باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (MTL.D).[23] وصحيفة **عصا موسى** (1950).[24]

زيادة على هذا كان الزّاهري ينشر مقالات في صحف جزائرية أخرى مثل: **الإقدام**،[25] الشهاب،[26] و**البصائر**، و**الإصلاح**،[27] وكانت تترجم له مقالات في **الكفاح الاجتماعي** (La Lutte Social)، و**وهران الجمهورية** (Oran R-publicain) الناطقتين باللسان الفرنسي...[28] كما ظل يراسل الصحف التونسية، **كالوزير** و**الزمان** و**النهضة**... وكان يراسل صحف المشرق المشهورة في ذلك الوقت، مثل: **القلم الحديدي**، و**الفتح** القاهرية (لمحب الدين الخطيب)، التي كان يكتب فيها شكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي... والمقتطف (للدكتور يعقوب صروف)، و**الرسالة** المصرية، التي تعد في وقتها بأنها لسان الأدب المتألق...[29] والكتابة في هذه الصحف تعد شهادة على براعة الزّاهري الأدبية والصحفية.

وفي مجال التربية والتعليم: كانت مساهمات الزّاهري الذي يعتقد أن تعليم الأطفال وإنشاء المدارس والكتاتيب القرآنية أهم هذه الوسائل،[30] مساهمة رائدة، لذلك نجده يراهن على هذه الوسيلة وجدواها، ونلمس ذلك في ممارسته المباشرة لهذا الميدان أو من خلال خطاباته التي تتناول العلم والتعليم، فكان أستاذا في أكثر من مدينة من مدن البلاد، فقد درّس بمدينة (تلمسان ووهران) غربا، وبـ(الجزائر العاصمة) شمالا. وأسس **مدرسة الشبيبة القرآنية** بالأغواط 1926،[31] التي خلفه عليها زميله مبارك الميلي، ثم رجع إلى بسكرة بعد عراقيل واجهته في أداء مهمته في هذه المدرسة. وهناك في سنة 1927 دعا إلى تأسيس **مدرسة للتربية والتعليم،** والتي يبدو أنها لم ترى النور إلا سنة 1931.[32] وفي وهران التي استقر فيها منذ سنة 1928 أنشأ جمعية **"الإصلاحية"** سنة 1934، التي كانت تعمل على تعليم العربية، وبعث العروبة في الأنفس، بين أبناء الجزائريين.[33]

ولكي لا نطيل الكلام في هذا المقام، يمكن أن نقول أن الزّاهري كان معلما أينما حل وارتحل، يقترح وينشئ ويشجع على فتح المدارس العربية، التي كانت مضطهدة في ذلك الوقت، أي عندما كانت المدرسة لا تختلف في شيء "عن قفص الاتهام" في حساب المستعمر، وصفة "المعلم الحر" تؤلب على صاحبها أكثر من عدو، وتضع على كاهله ما لا يطيق.

ج- أثار الزّاهري الأدبية:

كان الزّاهري كثير الكتابة؛ وهذا ما تعكسه كتاباته الصحفية، لكنه كان قليل التأليف شأنه شأن غيره من الجزائريين. وأهم ما ترك الزّاهري من مؤلفات مطبوعة كتاب: **"الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"** وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا من كتبه، إذ ضمنه مواقفه من التوجهات التي كانت رائجة في عصره، مثل: الفكر التغريبي، والتجديدي، الفرنسة، تحرير المرأة، النهضة، التبشير المسيحي، الإلحاد، الحياة الحديثة...[34] وللزاهري مؤلفات أخرى غير مطبوعة، لعلها قد ضاعت لأسباب نجهلها، ومن هذه المؤلفات: **حاضرة تلمسان - بين النخيل والرمال - حديث خرافة - شؤون وشجون**. لم يطبع الزّاهري هذه الكتب، بسبب صعوبة وارتفاع تكاليف الطبع في الجزائر في ذلك الحين.[35]

ثانيا: المنهج الإصلاحي عند الشيخ الزّاهري.

لقد فهم الزّاهري معنى الإصلاح شموليته وعمومه، أي الدعوة إلى الإصلاح –

بمفهومها القرآني الواسع – وعدم الاقتصار على نوع من الإصلاح بعينه دون آخر، فجاءت دعوته إلى الإصلاح تمس جوانب عديدة من الدين والحياة، تدعو إلى نبذ الفاسد من العقائد والعوائد، وإرشاد إلى ما هو صالح ليؤخذ به، وغايته ترقية المجتمع في سلم السعادة الدنيوية والأخروية.[36] لكن، كيف نصلح؟ وبماذا نصلح؟ بمعنى آخر ما هو النموذج الذي نطمئن إليه في مثل هذه الحال. للتحقيق الهدف الإصلاحي كان أقرب خيار أمام العلماء الجزائريين وهو النهل من معين المدرسة السلفية، مدرسة الرسول ﷺ، وما سار عليه صحابته ﷺ.

– الزّاهري والفكر السلفي، "جدل حول تحديد المفهوم وضبط البدايات ".

السلفية، دعوة دينية وأسلوب حياة، تعتمد حياةَ المجتمع الإسلامي الأول، والعصرَ الذهبي الذي تكون من عصر النبي ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين، وأصحاب النبي ﷺ مباشرة، كما أخذ الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ مباشرة، وشاهِد ذلك قوله ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».[37] بعبارة أخرى السلفية هي ملاقاة الإسلام الصحيح الخالي من الخرافات والبدع، والمحدثات، وبهذا يتضح أن السلفية عبارة عن ربط الخَلَف بالسلف في العقيدة والمذهب، أي إلى السير في درب الإسلام، والقيام على جادته وصراطه المستقيم، فإذا ما أحس القادة المصلحون، والعلماءُ المخلصون أن المسلمين غيّروا عقائدهم، وخلَطوا عملا صالحا وآخر سيئا، بادروهم بالدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح، حتى لا يَخرِقوا سياجَ الشريعة، ولا يخرُجوا عن دائرة العقيدة، و هذا ما جعل الدعوة السلفية تظهر في زمن معين، ومن حين لآخر.

إذن، السلفية ما هي إلا دعوة إلى العودة إلى الأخذ بما في كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليست شيئا آخر غير هذا، فإذا رأى العلماء، القائمون على هُدًى من الله وتقوى، أن المسلمين زاغوا، عن طريق الإسلام، ونادوا عليهم بالرجوع إلى مكان الدعوة الإسلامية حتى لا يمزقوا إطار الشريعة، ولا يخرجوه عن دائرة الامتثال.[38] بهذا تكون عبارة عن منهج إصلاح ومراقبة، مراقبة العلماء المصلحون للناس والدين والحياة، ومن ثم يمكنهم من رؤية حال الفساد والتدخل لإصلاحه، على هذا الأساس قامت السلفية أخيرا في الجزائر، وكان أبرزُ معتنقيها الشيخ ابن باديس، فقد سلك هذا المسلك،

وأرسى العقيدةَ السلفيةَ، وأبطل ما ألصق بالشريعة الإسلامية.[39]

تأسيسا على ما سبق، يكون السلفيون في الجزائر قد استلهموا كثيرا أو قليلا أفكارهم الإصلاحية من السلفية المشرقية، هناك حيث منبع الإسلام الأول الصافي النقي، وقد تكون هذه الأفكار قد وصلتهم بطريقة مباشرة عن طريق الدعوات والمراسلات التي كانت يرسل بها وهابيو الحجاز إلى المغاربة، ككتاب ابن سعود إلى تونس والمغرب (وهو ما سنتناوله فيما بعد)، أو عن طريق الرحلات الحجازية (رحلة الحج)، أو قد تكون هذه الدعوة قد تسامع بها الجزائريون بشكل غير مباشر عن طريق سلفية المغرب الأقصى، نظرا للقرب والجوار، وقد ساعد على ذلك مجال الحرية الذي كان متاحا في المغرب الأقصى بالنظر إلى ما هو عليه في الجزائر العثمانية في ذلك الوقت، وهو الأمر الذي عرقل انتشار هذه الدعوة في تلك الفترة.

وقد ارتبط مفهوم السلفية المشرقية بالحركة الوهابية، وأصبح أتباعها يسمون بالوهابيين، وهو لقب استهجنه الكثير من علماء الجزائر،[40] لأن لفظ وهابي أصبح في – نظر خصوم الإصلاح – يحيل إلى ذلك الشخص المعادي للمذهب المالكي والمتعصب للمذهب الحنبلي، كما ألصقت بهذا المذهب الكثير من قصص الهرطقة والكفر في محاولة لإظهاره بمظهر المذهب الفاسد،[41] فقد كتب الزّاهري في معرض تعليقه على مقال لمحمد الحجوي المغربي، ينفي فيه التبعية لهذا المذهب ويردّ فيه على تكفير أتباعه، فقال: «ونحن ننشر هذا الفصل كردّ على لغط هؤلاء المشاغبين المغرضين [يقصد أهل الطرق] الذين لا يزالون يرموننا بأننا وهابية، ويرمون الوهابية بالكفر والمروق من الدين».[42]

ويردّ الزّاهري على هذا الزعم، بأن تعاليم ابن عبد الوهاب هي من محض السنة، «فقد اشتهر بالتقوى وصدق التدين، عقيدته السنة الخالصة على مذهب السلف المتمسكين بمحض القرآن والسنة، لا يخوض في التأويل والفلسفة، ولا يدخلها في عقيدته، وفي الفروع مذهبه حنبلي غير جامد...».[43] وانتمائه للمذهب الحنبلي يعني أنه لم يخرج عن مذهب أهل السنة.

ومعنى هذا الكلام أيضا – حسبما يريد الزّاهري قوله – أن الوهابية منهج سني وليس مذهبا كما يدعيه الخصوم، وفي هذا الصدد يرى أنه «لا يوجد أدنى خلاف بين

الوهابيين وبين أهل السنة إلا ما هو موجود بين أهل السنة أنفسهم فالوهابيون حنابلة سنيون بأتمِّ معنى الكلمة، وحسبك أنه ليس لهم كتب مذهبية للمذهب الوهابي مثلا، بل كتبهم هي كتب الحنابلة نفسها، وهم حينما نظموا القضاء الإسلامي في الحجاز لم يجعلوا في محاكمه الشرعية قضاة وهابيين ولكنهم نصبوا فيها قضاة حنابلة وشوافع وحنفية ومالكية...».[44] وهذا ما تثبته مراجع الوهابين المذهبية، فكتبهم في المذهب هي كتب حنبلية، ومؤلفاتهم سائرة على نهجهم، وهي التأليف في الحديث والسنة.

ويرى الزّاهري أن الخلاف بين الوهابيين وبين أتباع المذاهب السنية الأخرى سياسي لا ديني، إذ الأتراك العثمانيين هم الذين نشروا الدعاية الكاذبة ضدّ ابن سعود الأول الذي افتك منهم الحرمين الشريفين بداية القرن التاسع عشر، وهم الذين استنجدوا بأمير مصر محمد علي باشا الذي استطاع أن يحرز انتصارات على ابن سعود وتمكن من طرد الوهابيين من الحرمين. فالأتراك هم من سموا الحنابلة النجديين باسم "الوهابية" وهم الذين نشروا عنهم التهم.[45] من أجل إخضاع تلك الإمارة الوهابية- السعودية الناشئة، لكن ذلك لم يتحقق إلا مرحليا فقط.

أما عن تعاليم ابن عبد الوهاب فهي تعاليم أهل السنة والجماعة، فهو لم يزد عن أمر أتباعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهاهم عن التعلق بالقبور وعدم نسبة التأثير في الكون للقبور، كما منعهم من التوسل بالمخلوق، وهدم الأضرحة التي هي سبب قيام واستمرار هذه الأفكار الباطلة.[46]

وهذه أمور كلها تشير إلى صحة العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي سنته ﷺ. لهذا كان الزّاهري يرى في الوهابية دعوة ومنهجا لا مذهبا، وكثيرا ما كان يردّها إلى منبعها الأول قائلا: « والواقع أنّ مُؤسّس هذا المذهب ليس هو ابن تيميّة ولا ابن عبد الوهّاب ولا الإمام أحمد ولا غيرهم من الأئمّة والعلماء، وإنّما مُؤسّسه خاتم النّبيّين سيّدنا محمّد بن عبد الله ﷺ، على أنّه في الحقيقة ليس مذهبا، بل هو دعوة إلى الرّجوع إلى السّنّة النّبويّة الشّريفة وإلى التّمسّك بالقُرآن الكريم ».[47]

وكون الوهابية دعوة إلى الرجوع إلى السنة الشريفة ومنهجا الإسلام الصحيح، هو ما جعل علماء الجزائر ينهلون من هذا الفكر الإصلاحي المشرقي ويعجبون به، لكنهم لم

يرتضوا أن يسموا باسمه، لأنهم كانوا يعتقدون جازمين بأن منبعه الأصلي ليس ابن عبد الوهاب ولا ابن تيمية ولا غيرهما، بل جاء به معلم الخلق ﷺ، وهو أحق بالاقتداء والاتباع من أي مخلوق آخر.

أما عن مسألة التواصل بين الجزائريين والمنهج السلفي، فيؤكد الزّاهري على أن الاتصال الأول كان عن طريق العلائق مع المغرب – حسب الزّاهري – وفي فترة متقدمة نوعا ما، يمكن تحديدها ببدايات القرن التاسع عشر، وبالضبط عن طريق أتباع الثائر أحمد التجاني (1737- 1814م)، مؤسس الطريقة التجانية، الذي كان لاجئا في المغرب آنذاك.

ورغم أن الكثير من علماء الإسلام يبدعون هذا الطريقة، ويضعون أتباعها في منزلة المبتدعة، ويصفونها بالانحراف الخطر على العقيدة الإسلامية الصحيحة،[48] غير أن الشيخ الزّاهري الذي لا يختلف مع غيره من العلماء في وصف أتباعها بالمبتدعة، إلا أن له موقفا مختلفا عن مؤسسها ونظرة مغايرة عن أصل هذه الطريقة، ويحاول أن يبرهن أن مؤسسها من دعاة السلفية على المذهب الوهابي، فها هو في إحدى مقالاته يتساءل: "هل كان الشيخ التجاني وهابيا؟"،[49] ويحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال قراءته للموقف الرسمي للسلطة المغربية من الوهابية، ثم يتطرق إلى موقف هذا الشيخ منها، باعتباره أحد رعايا تلك السلطة، وباعتبار طريقته هي الطريقة الرسمية للدولة.

وقد كان أول اتصال لهذه السلطة المتمثلة في السلطان سليمان بالوهابية سنة 1811م، وذلك من خلال مبادرة هذا السلطان بتحرير رد على المذهب الوهابي بعد توصله بنسخة كان وجهها ابن سعود ابن عبد العزيز إلى علماء تونس، وقبل أن يحرر سليمان رده هذا حاول أن يخلق مناخا نفسيا في أوساط العلماء يمهد به لإحداث انعطافة في علاقة الدولة المغربية بالوهابية، فقرر استشارة العلماء في فريضة الحج التي انقطعت بسبب ما أشيع عن العنف الوهابي، ولدفع العلماء إلى إبداء موقف إيجابي من المسألة التي عرضها عليهم. فإن السؤال الموجه إليهم "**صيغ بكيفية لم تدع مجالا كبيرا لاعتراض العلماء**" إذ حرص السلطان في سؤاله أن يؤكد استقرار الأوضاع بالحجاز، وأن ينفي الشائعات التي تروج حول الضغوط والتهديدات التي يتعرض لها الحجاج من طرف الوهابيين، وقد جاءت فتوى العلماء موافقة لما أراده السلطان، وفتحت بادرة تجاوب العلماء مع

دعوة السلطان سليمان أمام إقدامه على إرسال ابنه إلى الحجاز على رأس وفد من العلماء، لتبليغ عبد الله بن سعود بن عبد العزيز رسالة سلطانية في شأن الموقف من الوهابية.[50] وقد اجتهد الزّاهري للحصول على نص هذه الرسالة أو الجواب فلم يظفر بهما، ولكنه حصل على ما ذكر لنا خلاصته[51] فيما يلي:

«في سنة 1226هـ، أرسل المولى سليمان صاحب المغرب الأقصى، نجله المولى إبراهيم بجوابه إلى الأمير عبد الله بن سعود صاحب الحجاز ونجد، وكان في معية المولى إبراهيم كثير من العلماء والأعيان فلما حجوا البيت الحرام وقضوا مناسكهم... اجتمعوا بالأمير ابن سعود، فقابلهم بالحفاوة والبشر ووجدوه كواحد من الناس لا يتميز بزي ولا مركوب ولا ملبوس، وتباحثوا معه فقال لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فهل رأيتمونا خالفنا السنة في شيء، فجاء رد الوفد المغربي بالنفي، وتأكيد أن لا تنافي بين ما تدعوا إليه الوهابية وما تقرره الأصول المالكية ».[52] وكان ذلك بعدما دار بين ابن سعود والوفد المغربي الذي يرأسه الفقيه القاضي المغربي أبو إسحاق إبراهيم الزداغي حوارا، عرض الزّاهري أهم محاوره وحصرها فيما يلي:

مسألة الاستواء والجسمية: كان جواب ابن سعود في هذه المسألة بأن اعتقادهم لا يخرج عن فهم السلف الصالح، وأئمة المذاهب، وخلاصة قوله فيها: "بل نقول كما قال الإمام مالك، الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، فهل هذا مخالفة ؟" وكان هذا الردّ مقنعا للوفد المغربي الذي لم يرى فيه خروجا عن السنة.

حياة الأنبياء بعد الموت: سأل الوفد المغربي ابن سعود: "بأنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ في قبره"، وهذا الأمر الذي نفاه ابن سعود وأنكره، وقال: "إنما نقول أنه ﷺ حي في قبره حياة فوق حياة الشهداء".

زيارة القبور: ثم سأل المغاربة ابن سعود عن منع الوهابية الناس عن زيارته ﷺ وزيارة سائر الأموات؟ وهي ثابتة في الصحاح، فقال الأمير: "معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم من الزيارة؟ " وأجابه بأنهم يمنعون العامة ممن يخلطون العبودية والربوبية، وسبيل الزيارة أن يعتبر بحال الموتى وأن يدعوا ويستغفر لهم، ويسأل الله تعالى المنفرد بالمنع والعطاء بجاه ذلك الميت، إذا كان ممن يليق أن يستشفع به.[53]

وخلاصة قول الزّاهري أن العلماء المغاربة لم يشاهدوا من ابن سعود أدنى شيء يخالف الشريعة، وإنما شاهدوا منه، ومن أتباعه الاستقامة، والقيام بشعائر الإسلام، والنهي عن المنكر الحرام، وتطهير الحرمين الشريفين مما يرتكب فيهما من القذرات والآثام جهارا من غير نكير.[54]

ثالثا: مبادئ الإصلاح عند الشيخ الزّاهري.

يعدّ الفهم الصحيح للدين من الشروط الأساسية لتحرير الفكر والعقل من قيود الجمود والتقليد، وتنقية العقيدة من أدواء التمذهب والولاء لغير الله ورسوله، عكس ما جاء به الدين الحنيف من إطلاق لحرية الفرد ضمن ضوابط حددتها نصوصه واجتهادات علمائه، وأهم تلك الضوابط هي الخضوع لله وتوحيد ربوبيته وعبوديته، وبيان دور الإنسان في هذه الحياة، وتنفيذ الأوامر الشرعية الدينية في مختلف مناحي الحياة، أخلاقية كانت أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية... كل هذه المعاني الرفيعة والفهم الصحيح للدين قد فهمها الزّاهري وحاول تطبيقها ودعوى الناس على أساسها وفق منهج قويم،[55] وهو منهج اعتمد على عدة مبادئ وأسس، يمكن أن نجملها فيما يلي:

أ- مبدأ أولوية البدء بالإصلاح الديني قبل غيره.

يرى الزّاهري بأن إصلاح العقائد الفاسدة، ومحاربة البدع والخرافات، هي المهمة الأساس التي على العلماء الجزائريين الاشتغال بها، أما ما يدعو إليه بعض المتنورين (المتفرنسين) من الاهتمام بترجمة العلوم والآداب الغربية، ووضع القواميس فهو غير مجد وغير نافع « في أمة كأمتنا لا تزال في حاجة إلى تعلم حروف الهجاء؟ ».[56] كما يقول الزّاهري.

كما ينبه الزّاهري من النتائج السلبية للترجمة، فالمبالغة في الاهتمام بترجمة الكتب الغربية قد ينجر عنه نقل مساوئ المجتمعات المنقول عنها، فيضرب مثالا على ذلك حركة الترجمة التي ظهرت في تركيا الكمالية التي كانت نتيجتها أن ترجمت «... أمة مسلمة شرقية إلى أمة غربية، وكادوا يسلخونها طوعا أو كرها عن دينها الإسلام ».[57] لهذا السبب – الذي هو الحفاظ على هوية الأمة الدينية – رأى الزّاهري أن أي اهتمام بعيد عن إصلاح عقيدة الأمة هو مؤجل حتى تكون الأمة مهيأة للأخذ به، وفي رأيه أن ذلك لا يتهيأ إلا إذا صلحت العقائد، ولسان حاله يقول كما قال الأول: « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أوّلها ».[58]

ب- مبدأ اعتماد الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح.

تؤكد مدرسة الإصلاح الجزائرية كغيرها من المدارس الإصلاحية الإسلامية على جعل منهج الدعوة إلى الله والطريق إلى الإصلاح، وإعادة الأمة إلى مجدها وتمكينها مستمداً من مصادر الشرعية المعروفة، الكتاب والسنة النبوية، وما كان عليه السلف الصالح، وعدم الاحتكام إلى سيرة الأفراد إلا بعد وضعها على محك القرآن والسنة،[59] فالقرآن كما جاء في آياته وعرفه الزّاهري، هو أساس إصلاح الذات والمجتمع، إذ « يتناول... إصلاح هذه الإنسانية من ناحية التربية والتهذيب فيضع لها المثل الأعلى للفضيلة والخلق الكريم. ويدعوك القرآن إلى هذا المثل الأعلى من الفضيلة والخلق الكريم، ويشوقك إليه، ويغريك به إغراء كثيرا، حتى يصل بك- إذا أنت تخلقت بخلقه- إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه امرؤ من الكمال. وليس في الكلام ما ترى فيه الفضيلة رائعة مغرية على أتم ما يكون فتنة وجمالا، ويريك الرذيلة قبيحة شوهاء على أشد ما تكون قبحاً وبشاعة، مثل كلام الله الذي يعلم ما تكن الأنفس، وما تخفي الصدور.ولو أن هذه الإنسانية قد توفقت إلى أن نتربى بتربية القرآن، وتتأدب بآدابه، لاستراحت مما هي فيه من إثم وفساد، ومما تعانيه من شرور وموبقات ».[60] وهذا ما لا يستطيع أحد أن يجادل فيه.

ركز الزّاهري على هذا المبدأ –أي الاعتماد على القرآن والسنة – وجعل منه أسّ الفصل بين دعوى رجال الإصلاح ودعاوى غيرهم التحديثية، وقد رأى أن: « عز الإسلام لا يمكن إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة رجوعا خالصا من شوائب الغش والتدليس ».[61] والزّاهري لما قام باستقراء التاريخ وجد «فإن العرب قبل القرآن كانوا في جاهلية عمياء وفي ضلال مبين وفي توحش كثير فلما نزل القرآن وتأدبوا بآدابه وتربوا بتربيته، أصبحوا في لمحة البصر كأنهم ملائكة وتفوقوا على سائر البشر في أيامهم، فبالقرآن وبما فيه من خلق وفضيلة بلغ المسلمون الأولون ما بلغوا من العزّة والسلطان».[62]

وقد أكد الزّاهري على أن إتباع القرآن يعتمد على الفهم الصحيح البعيد عن التأويل والسفسطة والجدال. [63] وكان في اعتقاده أن الدين لا يكون صحيحا إلا إذا فهم القرآن، وأقتدي بسنة الرسول ﷺ مستندا في ذلك على جملة من الآيات الكريمة الحاثة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟** ﴾.[64] وقوله تعالى أيضا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾.[65] وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.[66] وكل هذه الآيات تجمع على وجوب طاعته والاقتداء بسنته، وإتباع أوامره رسول الله ﷺ هو أصل من أصول الدين يبنى عليه الشرع وتقام عليه الأحكام.

جـ- مبدأ الإقرار بقصور العقل في مجال الدين.

يمنح الزّاهري للعقل الإنساني واسع الحرية في التفكير وإبداء الرأي، لكنه يقيد هذه الحرية ببعض الضوابط والمعايير، إذ من الواجب عنده أن: « على كل عاقل [مستخدم العقل] أن يفحص الأشياء فحصا مجردا من العوارض والميول، غير غافل عن الزمن والمكان والبيئة التي هو فيها، وإذا توصل إلى شيء يسمى عقلا ومنطقا فله الحق في إبدائه، ثم إذا خوطب في شأنه يكون الجواب على قدر الخطاب، لا جفاء فيه ولا تهكم ولا سفسطة ولا مراوغة... ».[67]

ويستثني الزّاهري الخوض في الدين من هذه الحرية الفكرية، فهو يرى أنه: « لا يهم أن يتكلم أحد بما يدخل في منطقة معلوماته، وإنما المؤلم أن يحسب أن الشرع مائدة الفلاسفة، وهو لا يفهم منه إلا ما يفهم الرضيع من مص أصبعه ثم هو يمد يده إليه فيتناول تارة إحكاما هي محل اتفاق بين علماء المسلمين، ويجعلها نقطة النزاع وأوانه يعمد إلى آية فيقتصر من تفسيرها على ما يوافق هواه، ويعرض عما قاله العلماء في أمثالها ثم يحكم نفسه في عقول الرجال ».[68] بهذا يقطع الزّاهري الطريق على الذين يخوضون في الدين بغير علم ليضلوا به عن سبيل الله.

د – مبدأ تطابق الدين والدنيا وصلاحية الدين لكل الأزمنة.

من أصول العقيدة الإسلامية المستصحبة في كل أبواب الدنيا اعتقاد شمولية الشريعة الإسلامية لكل ما يحتاج إليه الناس لصلاح دنياهم وأخراهم، فلا يوجد ميدان من ميادين الحياة يمكن فصله عن الشريعة، لا السياسة وقضايا الحكم ولا الاقتصاد والأمور التجارية، ولا قضايا التربية وعلم الاجتماع ولا الطب ولا الصحافة ولا الرياضة، الخ... وليس الدين مقصورا على العبادات فحسب، أو العبادات أو أحكام الأسرة كما يدعيه الملاحدة ويظنه كثير من جهله المسلمين والسلفيون، يدافعون عن هذه العقيدة ويقفون في وجه من أنكرها بمقاله، وكذا من تنكر لها بحاله ممن يدعي الإسلام والدعوة إليه..

وقد ردّ الزّاهري على من حاولوا أن يفصلوا بين الدين والدنيا، مؤولين قول الرسول ﷺ: «قال أنتم أعلم بأمور دنياكم» بأنه فرق بين الحياتين. غير محتكمين إلى ما نصت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومعتبرين مسائل كثيرة أنها ليست من الدين في شيء كالحجاب، وخروج النساء سافرات... وقد رأى هؤلاء أنه يجب التقيد بروح العصر في مثل هذه المسائل التي هي في رأيهم مسائل اجتهادية لا أكثر لأن فيه تحررا من الجمود والتخلف.[69]

وقد حاول الزّاهري مجاراة هؤلاء والتسليم معهم –جدلا – بأن هذه المسائل لا علاقة لها بالدين، بل هي من أمور الدنيا، التي تتكيف بحسب الأزمنة والأمكنة وأن ما نقل عن السلف صحيح. ويطرح عليهم سؤالا خطيرا بنبرة المتحدي يريد منهم المقارنة والحكم على فساد رأيهم، قائلا: « أمن العقل وسداد الرأي أن نتخيل أننا في زمن كزمان عمر، تحت حكومة إسلامية كحكومة عمر، أميرها كالإمام عمر، وإذا لم يكن كذلك بل نحن في زمن من أجل مميزاته الفسق والفجور. وتحت حكومة البغاء مقرر في قانونها رسميا، وشبان المسلمين كادوا أن يكونون إباحيين بأتم معنى الكلمة. أيصح مع هذا أن نقول يجب على المرأة أن تخرج سافرة لأن المدينة العصرية تقتضي هذا والدين لا يمنع ذلك وسيدنا عمر حكي عنه أنه أمر به فهذا والله عين الجمود ».[70] وهو بهذا يحاول أن يبرهن على أن الدين والدنيا في زمن الإسلام الأول زمن عمر وصحابته من السلف الصالح يكاد يكون متطابقا عكس مما هو عليه في العصور الأخيرة، وهو ما يستوجب العودة إلى الدين وعدم الفصل بينه وبين أمور الدنيا.

هـ- نبذ الخلافات المذهبية والخوض في المسائل الكلامية.

من منهج أهل السنة عدم الخوض في المسائل الكلامية ولا في آراء المتكلمين، ما كان مخالفا للكتاب والسنة، وكذلك المسائل التي لا تفيد علما ولا عملا، والتي هي من شكليات الفلاسفة وفرضيات المتكلمين في مجال الاعتقاد، ويظهر هذا في كتب تقرير العقيدة التي يكتبها علماء أهل السنة، حيث يكون بناؤها على العقائد التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة خالية من الشبهات والتشكيك، ولم يرد به نص شرعي.[71]

وعلى هذا المنهج سار الزّاهري لكن ليس بسبب إقراره بطلان هذه المذاهب وفسادها، بل لأنه يرى فيها سببا للفرقة والشقاق بين أبناء الدين الواحد، فهاهو يقول عن هدف وضعه لكتاب الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير: « ... أنا لم أضع للتبشير بالإسلام في

الخارج إلا خطة واحدة، هي أن يكون المسلمون مسلمين مؤمنين حقاً، وسبيل ذلك أن يترك الفقهاء وعلماء الدين عنهم الغفلة والجمود، ويزودون الناس بالهداية الإسلامية الحقّة وبتعاليم القرآن الكريم، ثم ينبغي لعلمائنا أن يجمعوا المطاعن والمفتريات التي رمي بها الإسلام ويتبعونها بالنقض والتزييف، بالحق وبالآيات البيّنات. فذلك خير للناس وأجدى عليهم من كثير من مسائل "علم الكلام"، الذي لا يزال المسلمون يدرسونه على صورة يؤيدون فيها مذهبا إسلاميا على مذهب إسلاميا آخر، وينصرون فيها طائفة على أخرى أختها، وبدلا من أن يربوا ناشئتنا الإسلامية على أخوة الدين ورابطة الإسلام، فإنهم يربونها على الخلاف والشقاق...»[72] وهذا خلافا لما يذهب له علماء السنة الذين يقرون بفساد المذاهب الغير سنية، وأظن الزّاهري هنا كان يستحضر المذهب الإباضي، الذي رغم اعتداله كان بعض الجزائريين يناصبون أهله العداء.

و- مبدأ مخالطة الناس لمعرفة الأمراض الاجتماعية.

يؤكد الزّاهري على أن نجاح عملية الإصلاح مرهون بالمصلح في حدّ ذاته، فعلى المصلح أو من يهتم بالمصلحة العامة، أن يختلط بجميع شرائح المجتمع، حتى يتمكن من جسّ الجسم الاجتماعي، كي يتسنى له وصف الدواء اللازم لكل داء حتى تتم معالجته.[73]

على العموم هذه هي أهم مبادئ الإصلاح التي بنى عليها الزّاهري منظومته الإصلاحية، وهي في معظمها المبادئ التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة، أي المنهج السلفي. إلا أن الشيء الذي يعاب على الزّاهري، أنه لم يكن يتقيد بمذهب ديني أو فكري معين في الكثير من كتاباته، بل كان معروفا بالهجاء وسلاطة اللسان، واشتهر على أنه صحفي أكثر منه مصلحا لهذا السبب.

خلاصة:

تناولنا في هذا المقال المنهج الإصلاحي عند محمد السعيد الزّاهري، محاولين البحث على المحددات المنهجية للإصلاح في فكر هذا الرجل، والتعرف على أهم معالم فكره الإصلاحي الديني، ومن خلال هذه الصفحات حاولنا إعطاء تصور عام لهذا الفكر، ورأينا أنه يتركز حول:

- ضرورة الإصلاح الديني الذي هو أولوية الأولويات.

- العودة بالإسلام (الإسلام التاريخي= إسلام الأفراد) إلى منابعه الأولى وإلى نقائه.
- لا تتم هذه العودة إلا بالفهم الصحيح للدين، وذلك بالابتعاد عن الأهواء والتفلسف وتأويل النصوص الدينية.
- الإقرار بقصور العقل في فهم النصوص الشرعية.
- محاولة الابتعاد عن المسائل الخلافية، كالتعصب للمذهب، الشيء الذي يدعو إلى الفرقة والتباغض.
- لا يتم الإصلاح إلا بفهم المجتمع، ولا يتم هذا الفهم إلا بالمخالطة التي تشخص الأدواء وتسهل وصف الدواء.

الهوامش:

[1] رواه مالك في الموطأ، كتاب القدر، 1594.

[2] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، (1931-1945)، "دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة" منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 55.

[3] نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 83، ص 149.

[4] بشأن ترجمة شخصية محمد السعيد الزّاهري، ينظر:

- أحمد بالعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزّاهري (1900-1956م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، بإشراف الدكتور الجمعي خمري، جامعة قسنطينة، 2006، ص ص 13- 25.
- عبد السلام ضيف، محمد السعيد الزّاهري "كاتبا"، (ماجستير في الأدب)، بإشراف، عبد القادر هني، جامعة باتنة، 1994، ص 5.
- فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة " تراجم لشخصيات علمية وثقافية ونضالية وثورية "، بسكرة، الجزائر، 2001، ص 10 وما بعدها.

فوزي مصمودي، الشيخ زهير الزّاهري الليابي " صفحات من حياته ونضاله ومواقفه وآثاره "، ط 1، بسكرة، الجزائر، 2004، ص 15.

- محمد الهادي الزّاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1926، ص ص 184، وما بعدها.
- CAOM, cote 93/4294, Notice Individuelle sur Mohamed said Zahiri.

[5] فوزي مصمودي، الشيخ زهير الزّاهري، المرجع السابق، ص ص 23- 24.

[6] محمد الهادي الزّاهري، المصدر السابق، ص 65.

[7] عبد السلام ضيف، المرجع السابق، ص ص 5-6.

[8] صالح خرفي، محمد السعيد الزّاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 24.

[9] كان طلبة الزيتونة في نهاية المرحلة يمتحنون في تخصصين هما: علم القراءات، وسائر العلوم فقد امتحن الزّاهري والميلي والسلطاني في امتحان سائر العلوم. فكان الميلي على رأس طلبة المرتبة الأولى ويليه مباشرة السلطاني، أما الزّاهري فقد كان من طلبة المرتبة المتوسطة، والثالث في الترتيب، أنظر جريدة بأسماء الناجحين في، **النهضة**، ع 279، س 1، 28/7/ 1924، ص 2.

[10] الزّاهري، داء دفين في جامع الزيتونة، **الشهاب**. المصدر السابق، ص 525.

[11] عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 509.

[12] لم يترشح الزّاهري لعضوية المجلس الإداري للجمعية سنة 1936. عكس ما أذاعت البصائر من أنه سقط في هذه الانتخابات. أنظر: الزّاهري، حول استعفاء الشيخ العقبي وأكاذيب البصائر، ووقاحتها، **الرشاد**، ع 22، س 1، 13/11/1938، ص 2.

[13] كانت الجبهة الشعبية تمثل تجمعا لأحزاب اليسار الفرنسية في انتخابات 3 ماي 1936، ينظر: جيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، تر، عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 89. وينظر أيضا، حربي محمد، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، تر، نجيب عياد، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص 11.

[14] سياسي مستقبل، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، **المغرب العربي**، ع6، س1، 8/8/1947، ص 1.

[15] ظهرت هذه الحركة بزعامة مصالي الحاج في ديسمبر 1954. بعد أن انشق حزبه "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في هذه السنة، إلى جبهتين: إحداهما تناصره، وهم المصاليون ومنهم تكونت (MNA) والأخرى معارضة له، وهم أعضاء اللجنة المركزية، وفئة منهم قامت بتفجير الثورة رفقة مناضلين آخرين. ينظر: بنيامين سطورا، مصالي الحاج، رائد الوطنية الجزائرية، 1898-1974، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 1998، ص 228.

[16] عن هذه الجريدة، ينظر:

- ابن باديس، الجزائر، **المنتقد**، ع 5، س 1، 30/7/1925، ص 3.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 258.
- محمد ناص، الصحف العربية في الجزائر من 1847 إلى 1939، المرجع السابق، ص 55.
- مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)، ج 2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2003، ص 92.
- Ihaddaden Zohir, Histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'en 1930, 2ème, les édition Ihddaden, Alger, 2003, P 322.

- C.A.O.M, cote 15H/ 13, journal "EL-DJAZAIR".

[17] صدر العدد الأول من **البرق** في 7 مارس 1927، وقد بشرت بها **النجاح**، فقالت عنها " اسم جريدة في الصحافة الأسبوعية، تبحث في مسائل الترقي والعمران، والمصلحة العامة، تمتاز باشتغالها بشؤون الواردات والصادرات من أنواع البضائع، والنتائج الجزائرية "، عطلت الحكومة العامة **البرق**، وهي ما تزال في عمر الزهور إذ لم يسحب منها أكثر من 23 عددا. حول هذه الصحيفة ينظر:

– عبد المجيد الرحموني، إلى القراء، **البرق**، ع 17، س 1، /1927/7/4، ص 1.

– **النجاح**، ع 15، س 1، /1927/3/4، ص 2.

– ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها، من 1903 إلى 1931، مج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 237.

[18] كان صدور العدد الأول من صحيفة السنة أما الأخير منها كان في 1933/7/3، حول هذه الصحيفة، ينظر: عبد الحميد بن باديس، "بواعثنا، خطتنا، غايتنا"، **السنة**، ع 1، س 1، 1933/4/3، ص 8.

[19] صدر العدد الأول من صحيفة الشريعة أما العدد الأخير فكان بتاريخ حول هذه الصحيفة، ينظر: عبد الحميد بن باديس، تعطيل «السنة» وإصدار «الشريعة»، **الشريعة**، ع 1، س 1، 17 جويلية 1933، ص 1.

[20] حول صحيفة الصراط، ينظر: عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج 2، المرجع السابق، ص 233.

[21] صدر العدد الأول من **الجحيم** بتاريخ 1933/3/30، حول هذه الصحيفة ينظر: سليمان الصيد، محمد السعيد الزّاهري، الحلقة الثانية، **النصر**، ع 4213، 1987/5/31، ص 7.

[22] حول صحيفة الوفاق، ينظر: الزّاهري، الفاتحة، **المغرب العربي**، ع1، س1، 1947/6/13، ص 1.

- C.A.O.M $^{15}H^{23}$, Alger, la presse indigènes, journal "El Ouifak, n° 1, 23/3/1938", daté 25/3/1938.

[23] حول صحيفة المغرب الغربي، ينظر:

– الزّاهري، الفاتحة، **المغرب العربي**، مصدر سابق، ص 1.

– زهير احدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 108.

- Houcine Aït Ahmed, Memoires d'un combatant, L'esprit d'indépendnce 1942- 1952, Ed bochène, Alger, 1990, p 108.

[24] وحول صحيفة عصا موسى، ينظر:

– مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جم وتح، أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص 188.

– الطاهر بن عيشة، شيخ الأدب والصحفيين، **المحقق**، ع 8، 1– 2006/5/8، ص 32.

[25] كان يحررها الأمير خالد، كانت المعادية للاستعمار واللامساواة، وداعية للوطنية. ينظر: عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص ص 204– 205.

[26] جريدة إصلاحية لأبن باديس (1925- 1939)، ينظر أعداد الشهاب كاملة في ستة عشر مجلدا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

[27] جريدة إصلاحية للطيب العقبي، ظلت تصدر متقطعة، (1927- 1948).

[28] C.A.O.M, cote 93/4294, Op.cit, p 2.
- CAOM $^{15}H^{23}$, Alger, presse indigènes, journal "El Ouifak, n° 1, 23/3/1938", daté 25/3/1938.

[29] أحمد حماني، صراع البدعة والسنة، ج 2، ط 1، دار البعث، قسنطينة، ص 133. وأنظر أيضا: الزبيري العربي، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (الجزائر)، 1995، ص 66.

[30] الزّاهري، في الموقف الحاضر، **الشهاب**، مصدر سابق، ص 363.

[31] حول هذه المدرسة، ينظر:

- محمود علالي، الحركة الإصلاحية في الأغواط "1916- 1958"، تق، بوعزة بوضرساية، منشورات بلوتو، الجزائر، 2008، ص 101.
- الزّاهري، إلى بني الأغواط، **الشهاب**، ع 103، س 3، 1927/1/30، ص ص 14.

[32] سليمان الصيد، مدرسة الإخاء في بسكرة، 1931، ودورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية، في منطقة الزيبان وغيرها، تق، دبابش عبد الحميد وعبد الحليم الصيد، المركز الثقافي في بسكرة، 2003، ص ص 09- 14.

- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج 1، ط 1، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 64.
- مخبر، حول تأسيس مدرسة عربية يديرها الأديب الزّاهري، **النجاح**، ع 412، س 7، 927/02/25، ص 2.

[33] C.A.O.M, cote 93/4294, Op.cit, p 2.

[34] الزّاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب، الجزائر، (د.ت)، ص 5 وما بعدها.

[35] سليمان الصيد، محمد السعيد الزّاهري، (الحلقة الأولى)، **النصر**، مرجع سابق، ص 7.

[36] مبارك الميلي، الإصلاح "حاجتنا إليه، أبوابه، وسائله، أسلوبه"، **الإصلاح**، ع 5، س 3، 1929/10/17، ص 1.

[37] محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، مج 4، ص 456.

[38] أبو عبد الله يوسف الزاكوري، تعليق على مقال "السلفية و الطرقية" للشيخ الرحالي الفاروقي، www.akssa.inf، متاح بتاريخ، 2010/09/15، ص 8.

[39] محمد دراجي، الشيخ عبد الحميد بن باديس "السلفية والتجديد"، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 100، وما بعدها.

[40] ينظر مجموعة من المقالات كتبت في هذا الصدد:

- الزواوي أبو يعلي، وهابي، "ولا تنابزوا بالألقاب..." **الصراط**، ع6، س1، 1933/10/23، ص4.
- الزّاهري، (بتصرف)، محمد الحجوي، الوهابيون سنيون حنابلة، **الصراط**، ع 3، س 1،

1933/9/25، ص 3.

- الزّاهري، هل كان الشيخ التجاني "وهابيا"؟؟. حقائق من التاريخ لا يعلمهن كثير من الناس، **الصراط**، ع 7، س 1، 1933/10/30، ص 4.

[41] Ali Merad, Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, 2ème ed, les éditions El Hikma, Alger, 1999, p 192.

[42] الزّاهري، (بتصرف)، محمد الحجوي، الوهابيون سنيون حنابلة، المصدر السابق.

[43] الزّاهري، «الوهابيون سنيون حنابلة»، إيضاح وتعليق، **الصراط**، ع5، س1، 1933/10/16، ص 4.

[44] الزّاهري، « الوهابيون سنيون حنابلة»، المصدر السابق.

[45] المصدر نفسه، ص 5.

[46] الزّاهري، (بتصرف)، محمد الحجوي، الوهابيون...، المصدر السابق، ص ص 3- 4.

[47] الزّاهري، « الوهابيون سنيون حنابلة»...، المصدر السابق.

[48] حول الطريقة التجانية، ينظر: محمد مرغيث، موقف الشهاب من قضايا معاصرة "1925-1939"، (ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، بإشراف حميدة عميراوي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2003، ص 125.

[49] الزّاهري، هل كان الشيخ التجاني "وهابيا"؟؟.، المصدر السابق.

[50] عبد الإله بلقزيز، الخطاب الإصلاحي في المغرب " التكوين والمصادر "، 1844-1918، ط 1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1997، ص ص 50-51.

[51] يستقي الزّاهري معلوماته حول هذه البعثة من مصدر واحد تقريبا، وهو كتاب الاستقصا للناصري، ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع، جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 8، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص ص 118 وما بعدها.

[52] الزّاهري، هل كان الشيخ التجاني " وهابيا "؟؟...، المصدر السابق، ص 4.

[53] المصدر نفسه.

[54] المصدر نفسه.

[55] ضيف عبد السلام، المرجع السابق، ص 24.

[56] الزّاهري، ما هو العلاج؟، **الصراط**، ع 11، س 1، 1933/11/2، ص 6.

[57] المصدر نفسه، ص 7.

[58] المصدر نفسه.

[59] محمد حاج عيسى، الردَ النفيس في الطاعن على العلامة ابن باديس، مكتبة الإمام مالك، الجزائر، 2008، ص 90.

[60] ينظر تفسير هذه الآيات في: عبد الرحمان السعيدي،

[61] تأبط...، أردنا نصيحة فأراد فضيحة (6)، **وادي ميزاب**، المصدر السابق، ص 3.

[62] محمد السعيد الزّاهري، «للنشر الحرّ»، **الشهاب**، ع 154، س 4، 1928/7/5، ص 9.

[63] الزّاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب، الجزائر، (د.ت)، ص ص 70، وما بعدها.

[64] سورة الحشر، الآية 7.
[65] سورة النساء، الآية 59.
[66] سورة الأحزاب، الآية 21.
[67] تأبط...، أردنا نصيحة فأراد فضيحة، **وادي ميزاب**، ع 70، المصدر السابق، ص 3.
[68] المصدر نفسه.
[69] تأبط...، أردنا نصيحة فأراد فضيحة (6)...، المصدر السابق، ص 3.
[70] المصدر نفسه.
[71] محمد حاج عيسى الجزائري، المرجع السابق، ص 29.
[72] الزّاهري، الإسلام في حاجة إلى دعوة وتبشير، **النور**، ع 33، س 1، 1933/5/17، ص 3.
[73] جساس، الرسائل الخاصة، **البرق**، ع 18، س 1، 1927/7/11، ص 3.

Approach reform
In the opinion of Sheikh Mohammed Saeed Al Zahri Aldjazairi (1900- 1956)

Ahmed BELEAJAL *

Abstrait

This article discusses approach reform at Sheikh Mohammed Saeed Al Zahri (1900- 1956), which is a unique personality in the field of religious reform in Algeria, he had belonged to the first generation founder of the Association of Algerian Muslim Scholars. He chaired the administrative council more than once, and it was the first editors of newspapers "Sunnah, sirat, Charia " and other newspapers relating to the reformist orientation in Algeria and abroad. We have tried to identify the reform system at Sheikh through his writings in these newspapers, We have referred to the religious aspect of the subject, focusing on reform approach which he linked to the Salafist idea calling for a return to Islam.

Key words: Mohammed Saeed Al Zahri – Reform – Press – Scientists Association.

---

* Maitre-assistant A : Faculté des sciences sociales et humaines, Université El-oued – Algérie.